الباب الأول

الإنسان وثقافته

obeikandl.com

الفصل الأول:

الإنسان وثقافته: يا أيها الإنسان

تمهيد:

ما الذي تعنيه كلمة "**ثقافة**" في الاختيار بين الحرب والسلام؟

ما تعنيه كلمة "**ثقافة**" بالنسبة للحرب والسلام تلخصها دراسة أجريت حديثاً على دوافع الحرب، تبنت مفهوماً مادياً صرفاً لا مكان فيه للأبعاد الثقافية عند دراسة الحرب، تقول الدراسة إنه قبل صواريخ كروز وتوماهوك، وقبل المدفعية، وقبل السيوف والرماح، وربما قبل أن تطرأ للرجل الأول من سكان الكهوف الفكرة الألمعية بشحذ حواف حجر

obeikandi.com

الصوان، كانت هناك الحرب. هذه هي النتيجة التي صار يؤمن بها عدد متزايد من علماء الأجناس والأحياء، الذين صاروا يعتقدون بأن الحرب ليست واحدة من منتجات الحضارة، أو حاجة قومية أو اقتصادية أو حدودية، وإنما هي شيء محفوظ في بنية الدماغ، الأداة الأكثر فعالية لعمل الخير وإتيان الشر. ويمكننا هنا أن نستعير ما يقرره الباحث الأمريكي ريتشارد نيد ليبو أستاذ الذكرى المئوية بكلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية في مقدمة كتابه: "**لماذا تتحارب الأمم: دوافع الحرب في الماضي والمستقبل**"، يقول: "**يمثل العنف المنظم نقمة ابتليت بها البشرية منذ العصر الحجري على الأقل**".

والبحث عن هذا "**السفاح**" الكامن في أعماق النفس البشرية كان موضوع تنظيرات فلسفية، لكنه – وهذا الأهم – كان موضوع دراسات علمية تضافرت فيها جهود علماء البيولوجيا والطب والعلوم الإنسانية وعلوم أخرى. وفي 10 فبراير 2015 نشر موقع **الدويتشه فيله** الألماني جانباً من نتائج دراسة تتناول الظاهرة. عنوان التقرير المشار إليه كان: ""**نشوة القتل": التفسير العلمي لتلذذ السفاحين بجرائمهم**". وقد أظهرت استطلاعات للرأي، قام بها الجيش الأمريكي

أن نشوة القتل تصاعدت بشكل ملحوظ، فالاستطلاعات التي أجريت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كشفت أن نحو نصف الجنود فقط قاموا بتسديد بنادقهم على جنود العدو. لكن النسبة تصل إلى 95 بالمائة لدى الجيل الحالي من الجنود.

و"**الناس الأصحاء نسبياً لديهم خوف كبير من أن يلحقوا الأذى بأناس آخرين**"، على ما يقول المختص في علم الأحياء العصبية يواخيم باور. و"**بفضل نظام الخلايا العصبية المرآتية الموجودة في المخ، فإن الآلام التي يشعر بها الآخرون**" هي نفسها "**الآلام التي نشعر بها أيضاً**". والخلايا العصبية المرآتية: هي خلايا عصبية تجعل منا أناسا نتآزر مع الآخرين في محنهم ونشعر بآلامهم (سميت بهذا الاسم لتشابه وظيفتها مع عمل المرآة حيث تنقل الصورة).

وبحسب تقرير **دويتشه فيله** المشار إليه، زار توماس إلبيرت أماكن يبدو أن الناس فيها نسوا المشاعر التي تثيرها عملية إلحاق الأذى بأناس آخرين أو قتلهم، وتحدث مع مقاتلين يعد القتل من بين أنشطتهم اليومية، والتقى بجنود أطفال أياديهم ملطخة بالدماء. توماس إلبيرت على ثقة بأن كل واحد منا يمكن أن يتحول إلى قاتل. ويروي إلبيرت أن بعض

الأطفال كشفوا له عن أن عملية القتل تصيبهم بحالة سكر وانتشاء. و"**كل من لديه تجربة في القتال يصف حالات الثمالة هذه، أي أنها تقريباً لحظات تثير النشوة لدى شخص قام بقتل شخص آخر**".

وقد يؤثر الانتماء الثقافي على اختيار الأسلحة وطريقة القتال والقتل، لكن هناك قواسم مشتركة على الصعيد البشري في عمليات الاعتداء بالعنف والقتل، على ما يقول توماس إلبيرت. "**لقد رأيت في أوغندا كيف يقوم المتمردون بقطع أنوف وآذان وشفاه ضحاياهم – ونفس الأمر عايشته في أفغانستان أيضاً**".

البحث عن تاريخ العنف

بدءاً من الدراسات التي تراكمت حول القبائل المتحاربة في بابوا غينيا الجديدة، وانتهاءً باكتشاف الصدامات الدموية بين مجموعات الشمبانزي، تشير الدراسات الحديثة إلى أن الحرب تنبع من نوازع رسبتها حقب التطور المديدة. وكان بول روسكو قد قضى سنوات في دراسة قوم اليانغورو بويكين، في بابوا غينيا الجديدة، الجزيرة التي تسكنها مئات

المجموعات القبلية، التي جعلتها صلتها القريبة نسبياً مع الحضارة مختبراً لدراسة مراحل التقدم الإنساني. وقال روسكو (عالم الأجناس بجامعة ماين): "**قبائل بابوا غينيا الجديدة هي نحن أنفسنا بلا أسلحة نووية**".

وهذه العبارة، التي تبدو برئية ومحايدة علمياً، تتضمن عدة افتراضات وانحيازات، فهي:

أولاً: تفترض أن الإنسان كائن متطور عن أصل حيواني.

ثانياً: تفترض أن مسار تطوره ما زال مستمراً وأنه مسار خطي حتمي.

ثالثاً: تفترض أن القبائل البدائية المشار إليها تمثل الإنسان في مرحلة بدائية، ومن ثم يمكن بدراستها معرفة ماضي هذا الكائن.

يقول لورانس كيلي، أستاذ علم الأجناس بجامعة إلينوي في شيكاغو مؤلف كتاب: "**الحرب أقدم من الحضارة**": إن "**فكرة أن الحرب بدأت مع المدينة/ الدولة، أو مع ظهور الحضارة، أو مع بروز أوروبا، فكرة واضح بطلانها. إن الحرب ظهرت، على الأقل، مع بداية الجنس البشري**". ويتساءل أحدهم: لماذا لا تجد هذه الأجهزة الرائعة التي اخترعها الإنسان طرقاً أقل بربرية لحسم النزاعات؟

وحسب هذه النظرة التطورية للإنسان وبسبب إغراقها المفرط في المادية تصبح الحرب في المجتمع البشري موضوعاً يدرسه علماء الأحياء، ويرى ريتشادر الكسندر، عالم الأحياء التطورية، مشيراً إلى عمق ظاهرة الحرب في الحياة الإنسانية، أن "**مهمة التخلص منها صعبة بشكل لا يصدق. ولكنها مع ذلك أكثر المهام أهمية ونبلاً**".

الحوار حول طبيعة الحرب (بل العنف بمعناه الواسع) وحدود دورهما في صناعة التاريخ تمتد لتشمل عدداً لا يُحصَى من الأدبيات في عدد كبير من العلوم. الكاتبة حنا أرندت تجمل في كتابها: "**في العنف**" ما يخص علمي التاريخ والسياسة قائلاً: "**لا يمكن لأي شخص أعمل فكره في شئون التاريخ والسياسة، أن يبقى غافلاً عن الدور العظيم الذي لعبه العنف، دائماً، في شؤون البشر**".

وبحسب دراسة عنوانها: "**داعية حرب أم مؤمن بالمثالية: جذور الصراع البشري** " (نشرها موقع مؤسسة هنداوي الثقافية المصرية)، فإن الإنسان ليس نوعًا عنيفًا من المخلوقات، "**لكننا ببساطة نملك مما يستحق القتال في سبيله أكثر مما تملكه الحيوانات.**

وبحسب كاتب الدراسة فإن إنسان القرن الحادي والعشرين ينبغي أن يعتبر نفسه محظوظًا؛ فهو يعيش أكثر العصور سلامًا في تاريخ جنسنا البشري. فاليوم، أصبح احتمال موته على يد شخص آخر، أقل منه في أي وقت مضى على مدار التاريخ البشري. هكذا يعتقد ستيفين بينكر في كتابه عن تاريخ العنف البشري: "**الجوانب الملائكية في طبيعتنا**". واستنادًا إلى عدد هائل من الإحصاءات، يبين بينكر أن حالات الوفاة الناجمة عن الصراعات العنيفة — بدءًا من الثأر الفردي والثأر بين العائلات وصولًا إلى الإبادة الجماعية والحروب — أخذت تتراجع طيلة الستة آلاف عام الماضية على الأقل. ويرى بينكر أننا لا نزال نعاني توجهات عدوانية، لكن الطبيعة الإنسانية تغيرت بتغير الثقافة؛ أي التغيرات التي طرأت على السياسة والقانون والتجارة والأخلاقيات، بالإضافة إلى التواصل العالمي المتزايد الذي أتاح للأشخاص أن يختبروا بطريقة غير مباشرة معاناة الآخرين في أنحاء العالم ويتعاطفوا معهم.

مع هذا، لا يزال العنف الجماعي يمثل أحد جوانب الوجود البشري المنتشرة انتشارًا صادمًا. تتقاتل الحيوانات الأخرى على الموارد المحدودة أو من أجل الفوز بالإناث المرغوبة، أما البشر فيتقاتلون لأسباب

بيولوجية وثقافية أيضًا. فالبشر وحدهم يخوضون الحرب دفاعًا عن الشرف والقيم. يصعّب هذا علينا سبر أغوار طبيعة الصراع البشري. غير أننا بدأنا نستوعبه، ويساعدنا استيعابنا العميق له في تفسير التوجه التاريخي بعيدًا عن العنف الجماعي. وله نتائج عملية أيضًا؛ إذ يطبق الباحثون ما فهمناه على بعض الصراعات الدامية الحالية.

ويعتقد ريتشارد رونجهام، أستاذ الرئيسيات بجامعة هارفارد، أننا نتشارك مع كائنات أخرى بعض سمات متصلة بالعنف لكن "**أهدافنا أكثر تعقيدًا**"، تقول ميشيل جيلفاند، الأستاذة بجامعة ماريلاند في كوليدج بارك: "**يستمد العدوان البشري تفرده من أنه قد يتضمن الصراع على الأفكار والمعتقدات ورموز الهوية الثقافية**".

ويكشف سكوت أتران، أستاذ علم الإنسان بمعهد جان نيكود في باريس بفرنسا صلة بين العنف والهوية، يقول: "**ننتمي جميعًا إلى نوع واحد لكننا نقسم أنفسنا إلى عشائر متنافرة متناحرة**"، الأمر المريع هو سهولة توقع العداء والعدوان الجماعي. ومنذ حوالي ٤٠ عامًا، أوضح هنري تايفل كيف أن الأشخاص الذين يقسمون إلى فرق كانوا يحابون زملاءهم في الفريق، وكانوا يعاملون أعضاء الفريق الآخر بحدة. منذ ذلك

الحين، أُجريت العديد من التجارب التي أوضحت كيف تستطيع أقل الدلالات المرتبطة بالهوية الثقافية أن تخلق عداءً نحو الغرباء عنها؛ حتى إنه لو وزعت مجموعة قمصان مختلفة الألوان عشوائيًّا لأدت المهمة!

ويرى صامويل بولز أستاذ الاقتصاد بمعهد سانتا في بنيو ميكسيكو أن حب الفرد لعشيرته تطور بالتزامن مع عدائه للغرباء، ما خلق مزيجًا غريبًا من التعاطف والعنف. ومن شأن هذا المزيج أن يؤتي ثماره في عالم من القبائل المتحاربة، فيه تحظى المجموعات ذات الأفراد الذين يميلون إلى الترابط للقتال من أجل المصلحة العامة بميزة تنافسية على خصومها من المجموعات التي تتألف من أفراد أقل استعدادًا للتضحية من أجل قرنائهم. وطوال أغلب فترة ما قبل التاريخ، كنا نعيش في مثل هذا العالم. استنادًا إلى الدلائل الأثرية التي ترجع إلى ١٢ ألف عام ماضية، يقدر بولز متوسط إجمالي الوفيات الناتجة عن العنف بين أفراد العشيرة الواحدة بنحو ١٤ بالمائة.

وتحث الثقافة أفراد المجموعة على تمييز أنفسهم عن الآخرين باستخدام علامات (الزي والأطعمة المفضلة وممارسات الطقوس)، وتملي عليهم ما يستحق القتال من أجله؛ هنا نجد بعض الثقافات عدائية أكثر

من غيرها. تقول ميشيل جيلفاند: "**إننا نطور أعرافًا اجتماعية للصراع، ولأن الأعراف تختلف اختلافًا كبيرًا من ثقافة لأخرى، فستكون هناك اختلافات كبيرة أيضًا في التوجهات العدوانية**".

وفي المجتمعات "**الجماعية**" يعد الالتزام الصارم بالدفاع عن شرف المجموعة مثالًا على ما يسميه علماء النفس: "**القيمة المقدسة**"، ويعرّف أستاذ علم النفس بجامعة نيوسكول في نيويورك جيريمي جينجز هذه القيم بأنها: "**القيم التي تتشاركها عادة المجتمعات بأسرها، والتي لا يمكن مبادلتها بأشياء مادية كالطعام أو المال**"، وهي قيم مطلقة غير قابلة للتفاوض، وهذا يعطيها ثقلها في العديد من الصراعات المعاصرة. وعثر باحثان حديثًا على أدلة تشير إلى أننا نفكر في القيم المقدسة بأسلوب يختلف في جوهره عن التفضيلات العادية. والباحثان عملا بالتعاون مع جريجوري بيرنز، أستاذ علم الأعصاب بجامعة إيموري في أطلانطا بولاية جورجيا، واستخدم الباحثون التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لمراقبة ما يحدث في المخ أثناء تفكير الأشخاص في رفض القيم التافهة والقيم المقدسة. أثارت فكرة تلقي رشوة مقابل نفي عبارة مثل "**أنا معتاد على شرب البيبسي**" النشاط في مناطق المخ المعنية

بحساب التكاليف والأرباح. وعلى النقيض من هذا، أثار التفكير في تلقي رشوة مقابل التخلي عن عبارات مثل "**أؤمن بالله**" أو "**لا أريد أن أزهق روحًا بريئة**" مناطق المخ التي تلعب دورًا في استرجاع قواعد السلوك. يؤيد هذا فكرة أن القيم المقدسة تُعالَج في المخ باعتبارها أوامر أخلاقية مطلقة وملزِمة.

وتشحذ الشعائر إحساسنا بذاتنا باعتبارنا أعضاءً في مجموعة، وفقًا لرأي هارفي وايتهاوس، أستاذ علم الإنسان بجامعة أكسفورد، الذي يشرف على دراسة دولية بعنوان: "**الشعائر والمجتمع والصراع**"، وأحد سبل حدوث هذا: الأنشطة المتزامنة، بدءًا من تلاوة الشعائر وحتى سير الوحدات العسكرية بخطوات عسكرية. بل يبدو أن الحركات الجسدية المتزامنة تحث الناس على اتباع الأوامر الداعية إلى معاملة الآخرين بعدوانية. وتربط الشعائر بين الجماعات بطرق أخرى أيضًا. يقول وايتهاوس: "**أعتقد أن أكثر صور الانصهار تطرفًا هي تلك التي تولدها الشعائر التي تبث مشاعر المعاناة والألم والخوف المشترك. وفي الوقت الحالي نحن ندرس العلاقة بين شدة المعاناة في إحدى**

الشعائر وقوة الترابط الجماعي التي تولدها، ودلالة هذا من حيث التعاون والتضحية بالنفس من أجل المجموعة".

عالم من التصورات

التصورات التي تستهدف فهم/ تفسير العتف (و**الحرب**) تتأسس على التصورات التي تصل حد التناقض للطبيعة الإنسانية، وترمز إليها نماذج من أكثرها شهرة، الخلافات بين الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز من القرن السابع عشر، والكاتب الفرنسي جان جاك روسو، من القرن الثامن عشر. عرف عن هوبز مقولته الشهيرة بأن حالة الطبيعة هي: "**حالة حرب**"، وأن البشر مدفوعون لقتال بعضهم بعضاً بنوازع:

المنافسة

والخوف

والغرور.

obeikandi.com

بل إنه يمد الخط على استقامته ليشمل دوراً حاسماً لـ "**السيف**" كضمانة وحديدة لسريان المواثيق، فـ "**المواثيق – في غياب السيف – ليست سوى كلمات**".

أما جان جاك روسو، فدعا إلى رأي مخالف تماماً، فحواه أن الإنسان عندما كان في حالة الطبيعة كان مسالماً و"**وحشاً نبيلاً**" وأن الحرب لم تظهر إلا مع ظهور الدول والانقسامات السياسية.

وفي واقع الأمر، فإن الآراء التي ينسب بعضها الحرب إلى الطبيعة الإنسانية، ويعزوها الآخر إلى التربية، تمتد جذورها في الماضي حتى عصر الإغريق، كما تتطاول شجرتها لتغطي ساحات الجامعات الأميركية في الحاضر. ففي عام 1940 دافعت عالمة الانثربولوجيا الرائدة مارغريت ميد، عن فكرة روسو في كتابها بعنوان: "**الحرب ليست سوى اختراع، وليست ضرورة بيولوجية**". وقد قالت في مؤلفها ذاك إن الحرب ليست خاصية عضوية في البشر، بل هي مجرد "**حادثة تاريخية**".

ولكن يبدو أن حجج هوبز تعززت في الآونة الأخيرة. وقال روسكو من جامعة ماين، إن الآراء الشبيهة باراء ميد، ليست سوى نوع

من التفكير الرغبوي، من قبل بعض علماء الأجناس وأضاف روسكو "**لقد درس هؤلاء العلماء بعض القبائل ولم يكونوا راغبين في تغذية الصور النمطية حول المتوحشين المتعطشين للدماء**".

وقد أثبتت الدراسات الحديثة للقبائل البدائية، وهي دراسات تتبنى منظوراً مادياً داروينياً، أن الحرب كانت ظاهرة تكاد تكون شاملة قبل أن يظهر الأجانب بين ظهرانيهم. وبينما كان علماء الأجناس يتقصون جذور الحرب ويرجعونها إلى ما قبل التاريخ، فان دارسي العالم الحيواني من علماء الأحياء يتوصلون، هم أيضاً، إلى استنتاجات مزعجة عن أقرب الكائنات إلى الإنسان.

فبالنسبة للأغلبية الساحقة من الحيوانات، تنتهي النزاعات العنيفة داخل النوع الواحد، وهي غالباً ما تنشب بين الذكور المتنافسين على أنثى، دون إصابات قاتلة. تبدأ مثل هذه الصدامات بين ذكور الأيائل، على سبيل المثال، بخوار توجهه إلى بعضها بعضاً، ثم تشرع في "**السير المتوازي**" في خطوات يصاحبها الخوار. وإذا لم تنجح هذه المناورات الأولية في حسم النزاع، يشتبكون بالقرون حتى يستسلم بعضها ويفر هارباً.

والشمبانزي يمثل استثناء في هذا المجال. فقد أثبتت جين غودال، وغيرها من العلماء الذين يدرسون الشمبانزي الخلوية، أن عصابات من ذكورها تلجأ أحياناً إلى قتل ذكور من مجموعات أخرى إذا عثروا عليهم في مجموعات أقل. ويمكن لمثل هذه الهجمات أن تحدث، حتى لو كان الغذاء وافراً ولم يتوفر أي دافع واضح لمثل تلك "**الجريمة**".

والأكثر إثارة للدهشة في سلوك الشمبانزي، في حالة الضيق، ما لاحظه في الغابون عام 1990، لي وايت، عالم الأحياء في **جمعية حماية الحياة البرية**، فقد اكتشف وايت أنه عندما انتشرت ظاهرة قطع الأخشاب ودفعت مجموعات الشمبانزي إلى أراض غريبة، فإن المجموعات الغازية كانت تُهاجَم دون رحمة وتُقتَل من قبل المجموعات المحلية التي تُدفَع بدورها، ولنفس الأسباب، إلى أراضٍ جديدة. وبانتهاء دورة الانتقال والمواجهة وجد وايت أن بين 80 إلى 90 % من ذكور الشمبانزي أبيدت!.

هذا المسلك العدواني من قبل الشمبانزي، يكشف واحداً من تناقضات الحرب: أنها تحتاج إلى الذكاء. وفي الحقيقة فإن بعض علماء الأجناس يعتقدون أن الجزء الأمامي من الدماغ الإنساني تطوَّر، جزئياً

على الأقل، استجابة للحاجة للتخطيط للحرب. وقال كيلي من **جامعة إلينوي**: "**هذه واحدة من أفظع الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال فحص الأدلة الأركيولوجية، وهي أن الحرب كانت نتيجة للذكاء الإنساني وليس لعدم العقلانية الإنسانية**".

وعلى عكس المنازعات غير المهلكة بين الذكور المتنافسين، فإن الحرب البدائية نفسها كانت في حاجة إلى التخطيط، ومقارنة قوة الجيوش، والمقدرة على استخدام الأسلحة. ويجب كذلك ألا نقلل من نزعات تشويه الخصم وتصويره في صورة الشيطان. قال روسكو: "**في غينيا الجديدة يسمون العدو (لعبتنا) و(خنازيرنا المتوحشة)**". وأضاف: "**عندما أُرسِل طيارو سلاح الجو الملكي إلى المانيا، كانوا يقولون لهم: رحلة صيد موفقة أيها الشاب الخبيرون**". وتابع: "**كانت الافلام الدعائية النازية تصوِّر اليهود كنوع من الحشرات والفئران**". ولكن الحاجة لمثل هذه الحملات الدعائية تشير إلى خاصية جوهرية أخرى في الإنسان، هي أنه حتى يتمكن من القتل في الحروب، يجب أن يتخلص من نفور عميق من القتل، يبدو أنه هو الآخر متأصل في النفس الإنسانية.

وقال روسكو: "**في الحروب الغربية وحروب غينيا الجديدة، يجتمع المحاربون ويشدون من أزر بعضهم بعضاً. فهم يذكرون الموتى في حروب ماضية ويترنمون بالأغاني، ويخدرون أنفسهم بمختلف الوسائل**". وإذا لم تكن اعتبارات التنافس وعواطف الخوف والانتقام التي تدفع الناس إلى الحرب، قد تغيرت تغييراً يذكر خلال آلاف السنين، فإن أحجام الجيوش المتصارعة ونوعية الأسلحة المستخدمة تغيرت بصورة مذهلة. وإذا كانت هذه التطورات قد جعلت الحرب ظاهرة كارثية، فإنها لم تكن كلها شراً. فالأمم الكبيرة والقوية تستطيع قمع العنف داخل حدودها. ورغم قدرتها التدميرية المهلكة، فإن الأسلحة الحديثة تخلف وراءها الضربات العشوائية والقتل الجماعي، لصالح التصويب الدقيق والضربات المحكمة.

وحسب حسابات كيلي المعاكسة للبداهة، فإن ضحايا الحروب البدائية ربما كانوا أكثر نسبة من ضحايا الحروب الحديثة. وقد راح ضحية القتال الذي استمر عقداً كاملاً في يوغوسلافيا حوالي 200 ألف قتيل، مع أن المقاتلين بالفؤوس في رواندا قتلوا 200 ألف في أسبوعين فقط. وقال لورانس كيلي إنه خلال القرنين الماضيين، ورغم نشوب حربين

عالميتين، فان أقل من واحد في المائة من الذكور في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية ماتوا موتاً عنيفاً. وتشير أبحاثه الأركيولوجية التي تفحص الهياكل العظمية للوقوف على حالات الموت العنيف، أن نسبة تتراوح بين 15 و20 % وسط القبائل البدائية كانت تموت موتاً عنيفاً.

إذن ربما يتغير البشر.

وحسب الدراسة، هناك سوابق تشير إلى ذلك. قال كيلي: "**بحلول عام 1000 كان الفايكينغ أعنف الأجناس في أوروبا وأكثرهم بشاعة. حتى قصصهم عن أنفسهم كانت تقطر دما. ولكن بعد 800 سنة من ذلك التاريخ، أصبح الفايكينغ أكثر الناس جنوحاً للسلم في العالم**". وكما يشير الباحث الأمريكي فإن الحرب ليست صفة لصيقة بأمة دون أمة، بل قد يمر تاريخ أي أمة بمرحلة حرب ممتدة، ثم تمر هي نفسها، في مرحلة تالية، حالة طويلة من السلم.

وإذا كانت الحرب قد طرحت على الثقافة العربية المعاصرة بشكل ملح، فإن تناولها في هذه الدراسة يتجاوز حدود ما هو سياسي مباشر، فالقول بأن الحرب اختيار نهائي ووحيد ينطوي على خطأ أخطر بكثير

obeikandi.com

من القول بأن "**السلام خيار استراتيجي**" وكلاهما يحول "**أداة**" إلى هدف، لكن الأخطر في خيار "**ثقافة الصراع**" وأشباهها هو أنه يخرب الفطرة الإنسانية، ويحوّل العالم إلى غابة داروينية لا مكان فيها للحق ولا للخير، ويجعل القوة تصنع الحق، وهي في النهاية تنفي الأصل الإلهي للإنسان وتنظر إليه بوصفه كائنا ماديا يعيش في صراع دائم، فالخلاف ليس على أجندة سياسية بل على قضية إنسانية عليها يتوقف معنى كلمة "**إنسان**".

الإنسان بين رؤيتين

ينفرد الإنسان برصيد ضخم من الرموز الثقافية: اللغة، الدين، العلوم، الفكر، القيم والتقاليد الثقافية. وقد انقسم الفكر الغربي المعاصر إلى مدرستين في النظر للإنسان: المدرسة الأوروبية وقامت على أسس "**فكر التنوير**"، وشعارات "**الثورة الفرنسية**" بإغراقها في المادية ومعاداتها للأديان السماوية، والمدرسة الإنجلوسكسونية وتتسم بحضور ملموس للدين وتقدير للأصل الديني لثقافة الإنسان. ومنذ السبعينات تشهد

العلوم الإنسانية في المدرسة الإنجلوسكسونية (وبخاصة الأمريكية) اهتماما بسبر عالم الرموز حسب مبدأ "**العودة الي أسس الأشياء**"، الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع في هذه المدرسة. فعالم اللسانيات الأمريكي المشهور نعوم تشومسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الانسان من "**الأسس الفطرية**" للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري.

ويأتي بعد الفطرة، "**العقل**" كمرتكز ثان للنظرة "**الإنسانية**" للإنسان، فالعقل أو كما سماه أحد العلماء الأمريكيين "**الكون الداخلي للإنسان**"، وهو تلك المهارات التي تميز بني آدم عن غيرهم من الكائنات مثل: اللغة، التفكير المنطقي، الذاكرة، النسيان، الذكاء، القدرة الإبداعية، الأحلام التنبؤية، وعملية الشعور بالذات ودور اللاشعور في الاكتشافات العلمية والمعرفية. فالبحوث الحديثة المقارنة لعالم الإنسان بعالم الحيوان علي مستوي امتلاك واستعمال الرموز الثقافية تفيد دون شك بأن الفرق شاسع جداً بين الفريقين. ومن ثم جاءت شرعية انتقاد علماء النفس السلوكيين، وبخاصة من تبنوا دراسة سلوك الإنسان علي الأسس نفسها التي درسوا بها سلوك الكلب والحمام والفأر!!!

وهذا الافتراق الرئيس بين "**الفطرة**" و"**الغريزة**" هو الموضوع الأهم في دراستنا لدور الثقافة في صنع الحرب والسلام، فالانحطاط بالإنسان من أفق التكريم السامي الذي منَّ الله عليه به، ومن ثم وضعه في عالم المادة الذي يفترض أن يكون رحلة تطورية من الأميبا إلى الإنسان، هو موضوع الصراع المعرفي بين ثقافتي السلام والصراع، وبين المدرستين اللتين يفصل بينهما الأطلنطي يغيب "**الدين**" أو يحضر، فإذا حضر الدين كنا أمام الإنسان الفطري، وإذا غاب الدين كنا أمام الإنسان الغريزي، ونحن مطالبون بإنقاذ إنسانيتنا من هذا الوحش المادي قبل أن نكون مطالبين – ربما بالدرجة نفسها – بإنقاذ أية مقدسات أو حقوق مغتصبة.

السبيل الذي نحن بصدده إذن هو أنسنة علوم الفرد والمجتمع، واستعادة السياق الذي يجب أن توضع فيه، وتسليط الضوء المكثف علي عالم الرموز الثقافية للإنسان الذي يمثل عودة مباشرة الي صميم كينونة الإنسان نفسه، إذ أن ما يميزه عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الثقافية الهائل، وإذا كان قد مثل أكبر لغز

للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث، فإن عالم رموزه الثقافية هو في نظرنا السبيل الوحد لحل اللغز الإنساني علي كل المستويات.

وعالم الرموز الثقافية عند الانسان يكشف عن دلالات جديدة بخصوص الطبيعة البشرية نفسها، وهذا الرصيد الهائل يضفي علي طبيعة الإنسان لمسات تتجاوز عالم المادة أو بتعبير الفلسفة لمسات "**ميتافيزيقية**". وحسب عالم الاجتماع المفكر التونسي الدكتور محمود الذوادي، فإن دراسة هذه الجوانب الخفية لعالم الرموز عند الإنسان بقيت مهمشة تماماً في العلوم الإنسانية والاجتماعية الوضعية الأوروبية المعاصرة، وهو أمر منتظر لا غرابة فيه فهي علوم، كما هو معروف، تتبني مبدأ رفض وضع الجوانب غير المحسوسة لطبيعة الأشياء والظواهر تحت طائلة أطر وأدوات ومناهج العلم الوضعي الذي سيطر سلطانه علي معظم مجالات المعرفة منذ عصر النهضة، ورؤية وتوجُّه هذا العلم أفرزتهما ظروف خاصة عرفتها الحضارة الغربية منذ القرن السابع عشر. وبالتالي فلا ينبغي أن يكون منظور هذا العلم النموذج المثالي الوحيد لإرساء تراث علمي إنساني ذي مصداقية عالية وعالمية، فالعلماء عرباً ومسلمين وأعاجم

مطالبون باتخاذ موقف نقدي من أسس: "**العلم الوضعي الأوروبي التقليدي**".

وهدف العلماء من مغامراتهم العلمية، يجب أن يظل دوماً، محاولة الغوص في منعرجات حقيقة طبيعة الأشياء، وينطبق ذلك في المقام الأولى على ما همَّشه أو رفضه الوضعيون، ومن ثم أحجموا عن درسه وفهمه وتفسيره من ملامح ظاهرات ما سموه "**عالم اللا محسوس**" أو عالم الروحانيات ويجب أن تقع عودته بصورة طبيعية الي أحضان العلوم بكل فروعها وبخاصة الانسانية والاجتماعية منها. فإحداث الوضعيين القطيعة بين العالمين: المحسوس وغير المحسوس هو موقفٌ العلم منه براء، واستمرار هذه القطيعة لا يمكن إلا أن يشوه في النهاية مصداقية الفهم والتفسير العلميين للظواهر المدروسة. ونحن نأمل في النهاية أن تسمح لنا المعطيات العلمية حول عالم الرموز وجوانبه غير الحسية بالقدرة علي بناء أطر نظرية تؤهلنا أكثر لاكتساب مصداقية تفسيرية للسلوك الفردي والجماعي.

ما يسمى: "**علماء البيولوجيا الاجتماعيين**"، رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية، أولاً وقبل كل شيء. ووفقاً لهذه النظرة الداروينية التي اجتاحت الثقافة العربية المعاصرة فإن الفطرة "**وهم**"، والإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء لا معارف فيها ولا قيم، في تكذيب صارخ لما يقرره القرآن.

وإذا أخذنا بتقدير المفكر العربي الإسلامي الدكتور عبد الوهاب المسيري، فـ "**لعله لا توجد فلسفة أثرت في عصرنا الحديث أكثر من الفلسفة الداروينية، كما لا توجد فلسفة بلورت الرؤية العلمانية للكون أكثر من الفلسفة الداروينية**".

"**الداروينية**"، ويُقال لها أيضاً "**الداروينية الاجتماعية**": "**فلسفة علمانية شاملة، واحدية عقلانية مادية كمونية تنكر أية مرجعية غير مادية، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية وتَرُد العالم بأسره إلى مبدأ مادي واحد كامن في المادة ..... والآلية الكبرى للحركة في الداروينية هي الصراع والتَقدُّم اللانهائي وهو صفة من**

صفات الوجود الإنساني. وقد حققت الداروينية الاجتماعية ذيوعاً في أواخر القرن التاسع عشر ..... ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشاملة، إن لم يكن كلها".

وقد ذهب داروين إلى أن الكون بأسره سلسلة متواصلة في حالة حركة من أسفل إلى أعلى وأن الإنسان إن هو إلا إحدى هذه الحلقات، قد يكون أرقاها لكنه ليس آخرها. ويرى داروين أن تَقدُّم الأنواع البيولوجية الحية يعتمد على الصراع من أجل البقاء الذي ينتصر فيه الأصلح. و"**قد وُظِّفت الداروينية الاجتماعية في تبرير التفاوت بين الطبقات داخل المجتمع الواحد وفي الدفاع عن حق الدولة العلمانية المطلقة وفي تبرير المشروع الإمبريالي الغربي على صعيد العالم بأسره. فالفقراء في المجتمعات الغربية وشعوب آسيا وأفريقيا (والضعفاء على وجه العموم) هم الذين أثبتوا أن مقدرتهم على البقاء ليست مرتفعة، ولذا فهم يستحقون الفناء أو على الأقل الخضوع للأثرياء ولشعوب أوربا الأقوى والأصلح**".

والمسيري يزيد الأمر تفصيلاً بالقول إن "**الفلسفة الداروينية**" رسخت أفكار "**الواحدية المادية التي تذهب إلى أن العالم إن هو إلا مادة واحدة صدر عنها كل شيء، مادة خالية من الغرض والهدف والغاية ولا توجد داخلها مطلقات متجاوزة من أي نوع. فالعالم طبيعة، والطبيعة محايدة لا تعرف الخير أو الشر أو القبح أو الجمال. ولا توجد أية ثغرات في الكون إذ أن المنطق المادي حتمي شامل يشمل كل شيء. ولا توجد ثنائيات في الكون إذ يُرَد كل شيء إلى المادة ويُفسَّر كل شيء بالتطور المادي**".

والإنسان – في الداروينية– "**جزء من هذه الطبيعة وهذه المادة، وقد صدر هو أيضاً عنهما من خلال عملية التطور، إذ لا يوجد سوى قانون طبيعي واحد يسري على الإنسان والأشياء، فالوجود الإنساني نفسه يتحقق من خلال الآليات التي يتحقق من خلالها وجود كل الكائنات الأخرى:**

الصراع
والقوة
والتكيف".

و"الإنسان، شأنه شأن الأميبا، لا يتمتع بأية حرية ولا يحمل أية أعباء أخلاقية، فالقوانين الأخلاقية هي مجرد تَطوُّر لأشكال من السلوك الحيواني الأقل تطوراً والحرص الغريزي على البقاء البيولوجي. وهذا يعني أن القانون الأخلاقي، وكل القوانين، هي قوانين مؤقتة نسبية، ترتبط بحلقة التطور التي أفرزتها، ولذا يتم الاحتفاظ بالقوانين طالما أنها تخدم المرحلة. ومن ثم فإن الأخلاق المطلقة تقف ضد التقدم العقلاني المادي، وخصوصاً إذا كانت أخلاقاً دينية تدعو إلى حماية الأضعف والأقل مقدرة إلى الإشفاق عليه والعناية به. وهذا يعني أن كل الأمور نسبية تماماً ولا توجد أية مطلقات، ولذا يمكن القول بأن النظرية الداروينية هي الأساس العلمي للفكر النسبي. وإذا كان التطور يتم أحياناً عن طريق الصدفة، وتحدده الحوادث العارضة، فيمكن القول بأن النظرية الداروينية هي أيضاً أساس الفكر العبثي".

ويستطرد المسيري: "ينطبق الشيء نفسه على نظرية الأخلاق، فالبقاء هو القيمة الوحيدة، والصراع هو الآلية، والأنانية وحب الذات هما مصدر الحركة، ولذا فإن العالم هو ساحة قتال بين الذئاب من

البشر (والإنسان ذئب يفترس أخاه الإنسان) وبين الأمم التي لابد أن تصرع بعضها بعضاً لغاية البقاء، فهي حرب الجميع ضد الجميع. ولا توجد قيمة مطلقة لأي شيء، إذ أن ما يحدد القيمة هو القدرة على الصراع والبقاء". وقد ساهمت الداروينية أيضاً في تزويد النظريات العرْقية الغربية والتجارب الخاصة بتحسين الأجناس والنسل والقتل الرحيم على أساس علمي. كما هيمنت النظرية التطورية (ذات الأصل الداروينى) على العلوم الاجتماعية. فـ "**الإيمان بالتقدم والحتمية التاريخية جميعها أشكال من التطورية**". وهناك كثير من النظريات التاريخية والاجتماعية تُعَد تطبيقات لمبدأ التطور من التجانس البسيط إلى اللاتجانس المركب. فقد درس هربرت سبنسر التاريخ باعتباره تطوراً من: "**المجتمع العسكري**" إلى "**المجتمع الصناعي**"، ورآه ماركس تطوراً من الشيوعية البدائية إلى الشيوعية المركبة (عبر حلقات محددة: المجتمع العبودي، فالإقطاعي، فالرأسمالي، فالاشتراكي). بينما بيَّن أوجست كونت أن التطور هو تَطوُّر من:

مجتمع يستند إلى السحر

إلى مجتمع يستند إلى الدين

وصولاً إلى المجتمع الحديث الذي يستند إلى العلم.

والفكر العرْقي الغربي فكر تطوري يرى أن الإنسان الأبيض "**آخر حلقات التطور وأعلاها**"، ولذا فله حقوق معينة. وقد تبلور الفكر التطوري العرْقي في الأيديولوجيا النازية التي تبنت تماماً فكرة وحدة العلوم وَطبَّقت القوانين الطبيعية بصرامة على الكافة، وحاولت الاستفادة من قوانين التطور من خلال قواعد الصحة النازية (إبادة المعاقين والمتخلفين عقلياً وأعضاء الأجناس الأخرى) ومن خلال محاولات تحسين النسل عن طريق التخطيط وعقد زيجات أو تنظيم علاقات إخصاب تؤدي إلى إنجاب أطفال آريين أصحاء.

الإنسان كائن ثقافي

لقد أطلق الفلاسفة والمفكرون الاجتماعيون القدماء من أرسطو إلى ابن خلدون علي الإنسان أنه كائن مدني أو اجتماعي بالطبع. ويتفق اليوم مختصو العلوم الإنسانية والاجتماعية، كعلماء النفس والانثروبولوجيا والاجتماع، على أن الإنسان "**كائن ثقافي**"، أي أنه الكائن الوحيد

الذي يتميز عن غيره من الكائنات بنسق معقد يسميه هؤلاء: "**نسق عالم الرموز الثقافية**"، وعلي هذا المستوي يتفوق الإنسان تفوقاً كلياً علي عالم الحيوانات والحشرات، ومن بين مكونات هذا النسق الرموزي عند الإنسان:

اللغة المكتوبة والمنطوقة

القيم

المعايير الثقافية

والمقدرة علي استعمال أدوات المعرفة والعلم ورموزهما.

فهو الكائن الوحيد الذي يتمتع بانساق رفيعة المستوي في المجالات الرموزية وأهمها: الدين، وهو كذلك فريد في تميزه بالمقدرة علي التفكير وتطوير عالم الأفكار إلى مستويات جد معقدة ومتشابكة التركيبة.

فهذه الخاصية الثقافية الجوهرية في طبيعة الكائن البشري، أصبحت العامل الرئيس الذي يستعمله، بصفة خاصة، علماء الانثروبولوجيا والاجتماع في فهم السلوك الإنساني وتفسيره علي المستويين: الفردي والجماعي، فبالنسبة لهم، فكما يتأثر سلوك الحيوانات

والطيور والحشرات، بعامل الغريزة البيولوجي يتأثر سلوك بني البشر الي درجة كبيرة بمؤثرات المعطيات الثقافية المشار إليها هنا، وهذه الرموز الثقافية التي يتميز بها الانسان لا تكاد تخلو من لمسات دينية (ميتافيزيقية). فمثلاً، القيم كرموز ثقافية مشبعة هي الأخري باللمسات الروحية الأزلية وقيم: العدالة والحرية والمساواة مثال علي ذلك. فالناس عندما يطالبون بممارسة هذه القيم في الواقع الاجتماعي، طالما يستوحون ذلك من عالم الدين: فالاسلام، مثلاً، جعل قيمة العدل قيمة مطلقة. فالعدل واجب لصالح العدو أو ضد النفس، وهكذا.. ...

الإنسان في القرآن:

بكل وضوح، فإن الإنسان في القرآن خليفة الله في الأرض، قال تعالى: "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**" (البقرة:30) الإنسان إذن تبوأ مكانة الخلافة، لا من خلال عملية التطور التي نادى بها دارون

واتباعه، بل نتيجة منحة إلهية تمثلت في تفضيل الإنسان بمشيئة الإله عن بقية الكائنات الأخري في الكون، قال تعالى: "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**" (الاسراء:70).

فالاختلاف في مسألة الإنسان اختلاف جذري هنا. فبينما يؤكد القرآن ذلك، تجنح الرؤية الداروينية لاستعمال مؤثرات حركة التطور الطبيعية كعوامل حاسمة في تحديد معنى كلمة: "**إنسان**"، وبذلك تقطع الداروينية بحدة روابط الإنسان بالسماء. وأول هذه الروابط "**التعليم الإلهي**" فالعقل البشري – وفق هذه النظرة المادية – ليس فيه أي محتوى قيمي أو معرفة، بينما القرآن يؤكد أنه تلقَّى تعليماً إلهياً، قال تعالى: "**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" (البقرة:31)، وقال تعالى: "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)(العلق: 1 – 5).

وفكر علماء النفس السلوكيين المعاصرين مثال من بين أمثلة فكرية على ذلك، فالعقل عندهم ليس إلا صندوقاً أسود لا شيء فيه، ويخلو تماماً مما نسميه: "**الرموز الثقافية**". المنظور الإسلامي إذن يتعارض مع المذاهب الفكرية القديمة والحديثة التي تفرغ طبيعة الانسان من الرصيد الرموزي الهائل المودع فيه في أعماق تركيبته ككائن عاقل. فلا الداروينية ولا السلوكية ولا المادية التاريخية يمكن أن ترضى عنها الرؤية القرآنية.

وقد كان لهذا الانحياز لما هو مادي في الإنسان، على حساب ما هو إلهي، آثار سلبية على العلم نفسه، فتحاشى علماء النفس السلوكيون مثلاً، دراسة العمليات العقلية لأنها في نظرهم تصعب دراستها بالمقاييس الحسية، وتحيَّز علماء الاجتماع من جهتهم الي اعتبار أن المؤثرات الخارجية ذات طبيعة قاهرة بالنسبة للسلوك الاجتماعي. وبذلك تبنى الكثير من مختصي العلوم الاجتماعية والإنسانية منظوراً ميكانيكاً للسلوك الإنساني علي مستوي الفرد وعلي مستوي الجماعة، فأصيب بذلك عالم الرموز في الصميم من حيث مدي تأثيره علي السلوك البشري، وأُفرِغ بالتالي من أي مدلول غير حسي يربط الإنسان بعالم ما وراء الطبيعة المادية.

ومنذ الخمسينات تعرضت أطروحة المعرفة الحسية لانتقادات متزايدة بخصوص مصداقيتها كمعرفة، ولعل نقد عالم اللسانيات الأمريكي المشهور نعوم تشومسكي للسلوكيين في تفسيرهم لآليات تعلم اللغة عند الإنسان، كان الحدث البارز الذي ساهم في حفز المختصين في العلوم الإنسانية للاهتمام أكثر بعالم الرموز. ويجمع الناقدون على أنه قد حان الوقت لتغيير نظرتنا الي العلم، وتغيير نظرتنا للعلم يترتب عليه بالضرورة تغيير نظرتنا للإنسان وثقافته.

ولعل من الاعترافات المهمة التي تكشف عن درجة الجموح المادي الذي وصلت إليه الأيديولوجيات الأوروبية، بسبب إنكارها الأصل الإلهي ومفهوم الفطرة، ما جاء في كتاب: "**الإنسان الجديد في أوروبا الفاشية**" لبيير ميلزا وآخرين، وفيه يدرس مؤلفوه مفهوم "**الإنسان الجديد**" الذي برز في القارة الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى إثر تجربتين استبداديتين شهيرتين تمثلت إحداهما بالنازية في ظل هتلر والثانية بالفاشية مع موسوليني.

وفكرة "**صناعة الإنسان الجديد**" ترافقت تاريخياً مع مشاريع أرادت خلق واقع جديد باسم مبادئ مختلفة جعلت كلها الإنسان

"**هدفاً**" مثل الإصلاح اللوثري الذي نادى به مارتن لوثر، والثورة الفرنسية الكبرى عام 1789، لكن مفهوم "**الإنسان الجديد**" وجد صداه، وتم تبنيه أيضاً من قبل أنظمة استبدادية عرفتها أوروبا خلال سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي مثل الهتلرية والفاشية.

هذا "**الإنسان الجديد**" أرادوه دائماً "**شاباً وسيماً وقوياً**" وأضاف له هتلر صفة أن يكون "**آرياً**" بناء على تفوق العرق الجرماني على غيره من أعراق البشر. لكن قبل هذه الصفات كلها كان هذا "**الإنسان الجديد**" جندياً في خدمة النظام الذي أراد إنتاجه. لكن بكل الأحوال كان رفع شعاره للسيطرة على الآخرين. هكذا لم يتردد النظام الفاشي الإيطالي مثلاً في تحديد هدفه في إجراء نوع من الثورة باسم "**النزعة الإيطالية التحديثية**"، وهذا ما عبّر عنه موسوليني بـ "**إعادة صياغة الشخصية الإيطالية**"، وهذا ما يرى فيه الباحث الإيطالي إيميلو جانتيل نوعاً من "**الدين السياسي يكون موسوليني فيه بمنزلة البابا**".

وذلك على اعتبار أن موسوليني نفسه يجسّد "**الإيطالي الجديد**" لكن هذا "**الإنسان الجديد**" لم يظهر أبداً إنساناً خارقاً أو "**سوبرمان**"

حسب التعريف الفلسفي لنيتشه، وإنما بالأحرى إنسان "**عادي**" وإنما عرف واستطاع من خلال إرادته وحدها أن "**يرتفع إلى مصاف الأبطال**".

والنموذج الهتلري لـ "**الإنسان الجديد**" أعطى الأولوية لـ "**النقاء العرقي**" وذلك عبر الخلط بين مفهومين هما: "**العِرق النقي**" و" **العِرق الأسطوري**" للوصول من خلال هذا إلى تأكيد "**تفوق عِرق جرماني . أوروبي شمالي يمثل الإنسان الجديد رمزه المطلق**".

لكن بالمقابل هناك مشاريع أوروبية أخرى برزت بعد الحرب العالمية الأولى لـ "**الإنسان الجديد**" مثلها نظام فرانكو في إسبانيا وسالازار في البرتغال، وحيث بدت أهم ملامح هذا "الإنسان الجديد" في كونه "**ذا نزعه قومية وكاثوليكية ومتمسكاً بالتقاليد**". وهكذا مثَّله إلى حد كبير الريفي الذي يحرث حقله ويذهب القداس في أيام الآحاد ويسهر على زوجته وأطفاله (العديدين إذا أمكن).

obeikandl.com

الفصل الثاني:

الثقافة: المعنى والدور

الثقافة لغة (في **المعجم الوسيط**): الحذق والفطنة، وثقف الشيء: أقام المعوج منه وسواه، وثقف الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه، والثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها. وربما لم تثر كلمة في تاريخ المعرفة الإنسانية مشكلة في تعريفها كما فعلت كلمة ثقافة. ولم يبالغ الباحث عدنان المبارك حين كتب في جريدة: "**الزمان**" العراقية تحت عنوان: "**متاهات المفاهيم عند تعريف الثقافة**"، ورغم ذلك فإن الثقافة أصبحت من المفاهيم الأساسية لما يسمي اليوم بالعلوم الإنسانية، وأكبر تعميم لقيه هذا المفهوم في القرن العشرين.

obeikandi.com

وكلمة: "**الثقافة**" العربية لا تملك ذات المعني القاموسي الذي تحمله الكلمة اللاتينية: "**كولتورا**". إلا أن المفهوم السياقي للكلمتين، العربية واللاتينية، أصبح منذ أمد غير بعيد، واحدا علي وجه التقريب. ويعني الأصل اللاتيني للكلمة الزرع، إلا أن أول من استخدمها بصورة مجازية كان شيشرو الذي سمي الفلسفة بـ "**ثقافة**" الروح.

ومن الواضح أن هذا الفهم المبكر للثقافة ارتبط بتصور الجهد الداخلي الهادف لصياغة التفكير بأسلوب شبيه بالتحولات التي تدخلها يد الإنسان علي الهيكل الطبيعي للعالم الخارجي، وهو فهم يتصل بكل من: الاختيار والترجيح والقصد. وقد شاع استخدام الكلمة عبر قرون طويلة إلى أن استخدم الفرنسيون مصطلح "**الحضارة**" أو "**المدنية**" الذي قصدوا به كامل المنجزات الاجتماعية في مجالات التقنية والعلم والفن والأجهزة السياسية. وقبلها كانت تستخدم الصفة: "**متحضر**"، "**متمدن**"، ومعها كلمتا "**بولي**" وتعني: الصقل، والثانية جاء أصلها من كلمة: "**بوليس**" اللاتينية، وهي منحدرة من أصل يوناني "**بوليتييا**" أي النظام الاجتماعي المتعارض مع ما أسموه بـ: "**شريعة الغاب**" والفوضى في

العلاقات الاجتماعية بين الأقوام البدائية. ويذكر هذا الأمر، بدوره، بالتعارض الأقدم بين: "**الزرع**" و"**الطبيعة**".

في أوربا القرن الثامن عشر اعتبرت "**الحضارة**" نقيضاً للحالة "**الطبيعية**" التي تعيش فيها الأقوام الفطرية. وكان يؤخذ بهذا التعارض وفق المعايير الأخلاقية "**الكنسية**"، فمرة كان يفسر لصالح الحضارة وفي أخري لصالح الطبيعة كما في مفاهيم جان جاك روسو. ومن المرجح أن الفضل في إشاعة كلمة: "**الثقافة**" يعود إلى الشاعر والفيلسوف الألماني يوهان هيردير.

وهو يرسم صورة دارونية لكفاح الأنواع ويحدد الشروط التي كان علي الإنسان أن يشق فيها طريق وجوده مستغلاً مهاراته. ويري هيريدر أن الأسلوب الذي اتبعه الإنسان هو بمنزلة تأريخ ثقافته التي تملك حصة فيها حتى أكثر الشعوب بدائية. واعتقد هيريدر أن الآلية الرئيسة للثقافة توجد في التقاليد المعتمدة علي تحديد نماذج السلوك. وبهذا مهّد الطريق لعلم الاجتماع المعاصر القائل بأن الإنسان يتأنسن من خلال التربية.

obeikandl.com

وهنا تأتي أهمية لفظ "**ثقافة**" لدراستنا عن ثقافة السلام، فهي مفتاح من مفاتيح التغيير نحو الأفضل بسبب دورها في تغيير السلوك الإنساني. وحسب عدنان المبارك فإن تعريف الثقافة تنازعته نزعات شتى حتى وصلنا إلى مفهوم تنوُّع وتكافؤ الثقافات الذي أصبح العنصر الجوهري للنظريات المعاصرة قد شق طريقه ببالغ الصعوبة في فترة سيادة مفاهيم عصر التنوير الأوربي، والأخرى المرتبطة بنظريات التطور والقائلة بالتطور "**التقدمي**" ذي الخط الواحد للتأريخ، أي القائل بأن التاريخ يسير بشكل خطي، تسبق فيه أمم أمماً أخرى، ويتبع السابق فيها اللاحق بشكل دائم، دونما اختلاف بيِّن في المسار.

وقد وصف المؤرخ الألماني غوستاف كليم الثقافة – وتحت تأثير فولتير – بأنها: "**مجموعة الظواهر التي نلمسها في العادات والمعتقدات والأشكال النظامية**". وكانت كلمة: "**الثقافة**" شائعة في الأدب الإنجليزي، رغم تعدُّد التفاسير.

ولنذكر هنا المعركة التي دخلها ماثيو أرنولد في ستينيات القرن التاسع عشر، مهاجماً أنصار الثقافة الشائعة التي أسماها بـ "**البريق السطحي**" للتحصيل اللغوي التقليدي، أما هو فوجد الثقافة الحقيقية

"**فضولاً فكرياً، وسعياً غير نفعي صوب الكمال، ومنطقة للقيم الأخلاقية والجمالية المتناقضة مع قبح حضارة الفحم والفولاذ، أخلاقيات الركض وراء الثروة والسطوة السياسية، وعالم البرابرة الأرستقراطيين ومادية البوروجوازيين و(الرعاع) أيضاً .. فالثقافة هي كل ما يكون الأفضل**". وهذا التعريف الغائي الذي يجعل الثقافة "**وسيلة**" للأفضل هو من أقرب التعريفات إلى المعنى المقصود بالثقافة في تعبير: "**ثقافة السلام**".

وإن عدنان المبارك يعتبر أن كتاب الباحثين الأمريكيين كريبير وكلوك حول مفاهيم الثقافة وتعاريفها من أفضل المؤلفات في هذا الحقل. ووفق هذين المؤلفين هناك ستة تعاريف للثقافة أو بالأحري ستة أبعاد تبرزها شتي التعاريف وهي:

الوصفي

التأريخي

السايكولوجي

البنيوي

المعياري

التكويني

أما الوصفي فمثاله تعريفا أدوارد تايلور، أولهما أن "**الثقافة أو الحضارة هي كلّ مركب يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقوانين والأعراف، كذلك القدرات الأخرى والعادات المستحكمة لدي الناس كأعضاء في المجتمع**". وتعريفه الثاني، أن الثقافة: "**ذلك الكل المركَّب المعقَّد الذي يشمل المعتقدات والمعلومات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً في مجتمع**"، أما التعريف التأريخي فيؤكد عامل التقاليد كمشرّع للثقافة التي تصبح، هنا، إرثاً وحصيلة.

وفي "**التعريف المعياري**" تكون القواعد هي الخاصية الأساسية للسلوك الثقافي، إضافة إلى ما يسمي وحدة أسلوب الحياة المميّز لهذه الثقافة عن تلك. أما التعريف السايكولوجي فيراعي الآليات النفسية الناشطة عند تشكيل الثقافة أي عملية التعلم ونشوء العادات. وبين التعاريف السايكولوجية هناك التي تصف الثقافة كجهاز مكيّف (بكسر

الياء). أما التعاريف البنيوية فتتميز بالتركيز علي الطابع الكلي للثقافات وترابطاتها الداخلية.

فهذه التعاريف تتكلم عن ثقافة معيّنة أو ثقافات مختلفة وليس عن الثقافة عامة. وما يميّز التعاريف التكوينية تأكيدها إيضاح أصل الثقافة ومنحدرها وقضية تعارضها مع الطبيعة، وطابعها كنتاج للتعايش الاجتماعي. فتايلور وجد أن جوهر الثقافة يكمن، رغم كل شيء، في الأصل الاجتماعي للعادات والأعراف. ويري عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي الكبير رالف لينتن أن الثقافة تشمل طائفتين أساسيتين من الظواهر هما:

1 – السلوك البشري

2 – الأشياء التي تعتبر نتاجا له.

ذلك أن نطاق الثقافة لا يشمل جميع أنواع السلوك، بل تلك التي صارت عادة اجتماعية، أي السلوك الذي يتميز بالانتظام ومصدره عملية التعلم المميّزة للجنس البشري، وتعتبَر إحدى الآليات الرئيسة لنشوء الثقافة وبقائها وتطورها.

فالثقافة هي في قابلية التعلم وتخطّي التجربة الشخصية، ووفق التعاريف المذكورة وغيرها يكون الإنسان قد تعلَّم جميع الأنشطة الثقافية، أي أن السلوك الغرائزي خارج نطاقها. ومن الطبيعي أن ليس كل ما يتعلمه الإنسان يعتبر نشاطاً ثقافياً. فقابلية التعلم مشتركة، وعلي نطاق كبير، بين الإنسان والحيوانات الأخري. إلا أن التعلم لدي الحيوان يبقي تجربة مستقلة لا علاقة لها بالتجارب السابقة والمقبلة علي السواء. فقابلية التعلم وتخطي التجربة الشخصية جعلتا الإنسان خالقاً للثقافة ومتكيفاً لشروط الحياة فيها. لكن هذه القدرة على التعلم ومن ثم في مرحلة تالية، اكتشاف الإنسان قدرته على خلق الثقافة كانت التربة الخصبة التي نشأت فيها أمراض الصراع كموقف مسبق مخطط واع.

والقدرة علي الأخذ والعطاء فيما يخص التراث والتي يتميز بها الإنسان، سواء أخصّ الأمر الأشياء أم قواعد السلوك ونماذجه، تكون قائمة في أسس الطابع التراكمي للثقافة. وهناك تعريفان أساسيان الأول حدّده تايلور، والثاني المناويء له، يرفض تفسير الظواهر الثقافية كنوع معيّن من السلوك الإجتماعي ونتاجاته. ولا يمكن، بالطبع، تجاهل حقيقة أن الثقافة واقع خارجي ذو تأثيرٍ طاغٍ علي الإنسان.

وهناك تعاريف وسط بين التعريفين المذكورين، وأكثرها انتشاراً التعريف الذي حدد صيغته النهائية رالف لينتن ويعتمد علي التفرقة بين الثقافة الفعلية والأخري "**التجريدية**"، ويقول إن الثقافة "**نظام التصرفات المكتسبة**". ولا يستطيع أي مجتمع أن يتقدم ويزدهر حتى يعرف المكوِّنات الثقافية التي تتحكَّم به وتُنَمِّط تفكيره وتحدِّد اهتماماته وتوجِّه نشاطه، فالثقافة بهذا المعنى أسلوب أو طريقة الحياة التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من: تقاليد، وعادات، وأعراف، وتاريخ، وعقائد، وقيم، واهتمامات، واتجاهات عقلية وعاطفية، وتعاطف، أو تنافر، ومواقف من الماضي والحاضر، ورؤى للمستقبل، وهي طريقة تفكير وأنماط سلوك ونُظُم ومؤسسات اجتماعية وسياسية وما يعيشه المجتمع من انفتاح أو انغلاق.

فالثقافة بهذا المحتوى، هي في الغالب لا تأتي قصداً من الأفراد، وإنما يكتسبها الناس امتصاصاً من البيئة منذ ولادتهم، وإذا اكتسبوها بالقصد فإن قصْدهم يكون محدَّداً بالبرمجة من الأهل والمجتمع، فهم يتشرَّبون ثقافة أهلهم ومجتمعهم مثلما يتشرَّبون اللغة الأم ويحكمون على كل شيء وفق المعايير السائدة التي امتصوها امتصاصاً تلقائياً، وامتزجت

بعقولهم ووجدانهم .. فهي تحركهم بمخزون اللاشعور ولكنهم يتوهمون أنهم يفعلون ذلك بمحض اختيارهم وإرادتهم، ويجهلون أن مصدر هذه الثقة "**البرمجة الراسخة**" فيظلون مأخوذين بما تبرمجوا عليه، ولا يخطر على بالهم أن يرتابوا فيه أو يراجعوه، ومن هنا تمايزت أوضاع المجتمعات.

وتنوُّع الثقافات هو الذي يحدِّد تنوُّع المجتمعات، فإليه تعود الاختلافات الكثيرة والكبيرة في الأحوال والأوضاع وطُرق التفكير وأنماط السلوك، كما أن التنوع الثقافي هو الذي يحدِّد المستويات الحضارية للمجتمعات، وهو السبب في هذا التفاوت الشاسع في درجات التخلف أو التقدم، ومع كل هذا التعقيد الشديد لمفهوم الثقافة فإن أكثر القراء يتوهمون أن (الثقافة) مفهوم شديد الوضوح جَرْياً على ما اعتادوا عليه في الحس العام، وهو حسٌّ مبنيٌّ في الغالب على ثقافة المشافهة وليس مبنياً على المعرفة العلمية الممحَّصة، فيبقون واثقين من صحة فهمهم ويظلون واهمين بأن المفهوم لا يحتاج إلى بحث ولا تعريف.

ولقد بلغت كثافة مفهوم الثقافة، وتعقيدات مضمونه، وتعدُّد عناصره، وتنوُّع محتواه، واختلاف موصوفه، وتباين درجات مدلوله، أن فرعاً علمياً بأكمله تستغرقه محاولة تعريف هذا المفهوم المحوري، وتحديد

دلالاته، وإبراز نتائجه، وتتبُّع آثاره، وبسبب هذه الأبعاد الدلالية الزاخرة بات يتردد في الكتابات أن له أكثر من مائة تعريف، إمعاناً في تأكيد غموضه والتباسه. ولم تقتصر محاولات جلاء هذا الكائن الكُلّي المركَّب على علماء: الأنثربولوجيا الثقافية، والاتنولوجيا، وعلم الاجتماع بتفريعاته المتعدِّدة، وإنما واجهت المفكرين في كل مكان معضلةُ عجز كثيرٍ من المجتمعات عن التفاهم أو عجزها عن الإفلات من قبضة التخلف، وكانت هذه المعضلة حافزاً للمفكرين للتعرُّف على محفّزات النمو ومعوِّقاته فاحتلَّ مفهوم الثقافة بؤرة الاهتمام وبات قاسماً مشتركاً بين المعنيين بالإصلاح والمهتمين بالتنمية والمشتغلين بالفكر. لقد امتد الاهتمام بالتباينات الثقافية إلى فروع معرفية واسعة ومتنوعة، وشارك مثقفون كثيرون من كل الثقافات في محاولات شرح هذا المفهوم وتقريب مدلولاته وتأكيد أهمية المعرفة الفردية الراقية داخل الثقافة الواحدة، لأن التكامل بين إبداع القلة واستجابة الأغلبية من أهم عوامل الازدهار.

لكن هذا التفاعل، كان دائماً، سلاحاً ذا حدين إذا كان بالإمكان – في حالات كثيرة – بناءً عليه أن تتحكم القلة المبدعة في الأغلبية، وقد أدت الدراسات على هذا التأثير إلى اكتشاف الفعل

الحاسم للثقافة السائدة في أي مجتمع وكونها تتحكَّم بعقول وعواطف وأوضاع المجتمعات وتعمل على استمرار هذه الأوضاع، ومن هنا خطورة "**تقديس**" الأوضاع السائدة ورفض أي مسعى لتغييرها بناء على معايير قيمية دينية أو أخلاقية أو إنسانية.

إن مفهوم الثقافة إطارٌ عام جامع، وتتحرك داخل هذا الإطار الواسع كل الثقافات الإنسانية في دوائر أو أُطُر متمايزة ذات تنوعات شاسعة ومستويات حضارية متباينة، وتقوم بينها أحياناً حواجز وعوائق يصعب تجاوزها أو اختراقها أو النفاذ منها، والثقافات تتنوع تنوعاً شديداً، فبعضها ذو أُطُر أو دوائر مغلقة لا تتفاعل مع الدوائر أو الأُطُر الأخرى، وبعضها فضاءات مفتوحة تأخذ وتعطي، أي أنها تتغذى من الثقافات وتغذيها. إن الثقافات عوالم متمايزة تشكَّلَتْ بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية وطبيعية مختلفة وتكوَّنت بفعل مؤثرات كثيرة ومتنوعة فجاءت هي بهذا الاختلاف والتنوع.

والفلاسفة أدركوا منذ العصر اليوناني أن لكل مجتمع ثقافة يتشكل بها عقله تختلف عن ثقافات المجتمعات الأخرى، وأن الاختلافات الشديدة الملحوظة بين المجتمعات تعود إلى هذا التنوع

الثقافي. فالثقافة إذن أكبر من الأفراد وهي نتاج الاجتماع الإنساني، والإنسان يكتسبها ويتطبَّع بها دون اختياره، فهي تسيِّره، وتحدِّد ماهيته، وترسم نمط تفكيره، وتبني نماذج سلوكه، وتصنع مسارات اهتماماته، وترتِّب منظومة قيمه، فهو يكتسبها امتصاصاً تلقائياً بوصفه عضواً في مجتمع وليس بتخطيط منه سواء كان أمياً أم متعلماً، أما ما يفعله عن قصد بعد بلوغه الرشد، فهو يأتي في الغالب تأكيداً لما كان قد تَشَكَّل به في طفولته، فنمو المعرفة يشبه نمو الشجرة.

إن النمو في النبات يكون امتداداً للبراعم الأولى، وكذلك الإنسان، يتشكل عقله في الطفولة، أما ما يأتي بعد ذلك من أفكار ومعارف ومعلومات فيتحوَّر ويتكيَّف ليبقى امتداداً للتَّشَكُّل الأول، أو يظل طلاءً خارجياً غير ممتزج بالبنية الذهنية، فلا مكان في العقل ولا في الوجدان لما ليس امتداداً لما هو مغروسٌ في الطفولة، إلا في حالات استثنائية نادرة، حين يكون الفرد قادراً على استقلال التفكير والنهوض بعبء المراجعة والتدارك والتصحيح وإعادة بناء الذات .

إن قابليات الأفراد غير المحدَّدة عند الولادة تتحدَّد بالبيئات التي ينشأون بها فيكتسبون تلقائياً بهذه التنشئة المتمايزة: لغاتٍ مختلفة، وطرق

تفكير مختلفة، وعادات مختلفة، واهتمامات مختلفة، وقيماً مختلفة، وانتماءات مختلفة، وأنماط سلوك مختلفة، وأخلاقاً مختلفة، وتقاليد مختلفة، لكنهم يغفلون عن كل هذه الاختلافات، باستثناء إدراك الاختلاف اللغوي، فهم يدركونه بداهة لأنه اختلافٌ صارخ ولا يتطلب أي استقصاء، فيدركه الأميون مثلما يدركه المتعلمون، لكنهم في الغالب لا يدركون أن كل عناصر الشخصية الفردية الفكرية والسلوكية تتطبَّع بهذه الاختلافات الثقافية.

والثقافة هي ذلك الكائن المعقَّد العجيب الذي لا نراه لكنه يغمرنا كل الوقت، بل يسري فينا مسرى الحياة، ويحدِّد طبيعتنا بعد أن كانت مجرد قابلية، فالفرد لا يذكر كيف تعلَّم لغة أهله وقومه، فهو حين يكبر يجد نفسه يتكلم بهذه اللغة أو تلك، ومثل ذلك يقال عن كل العناصر الثقافية التي شكَّلته، فبها يعتقد وبها يفكّر وبها يحب ويكره وبها يوالي ويعادي. إن الثقافة التي تخلَّق بها وعيه هي التي تصوغه وتتحكَّم بعقله وتوجِّه وجدانه، فهو نتاجها واكتسب منها طبيعته الثانية، إنه متطبِّع بثقافة أهله وقومه، وهو لا يتذكَّر كيف صاغته، فجعلته منتمياً إليها وذائباً فيها ومغتبطاً بهذا الانتماء والذوبان.

وبسبب هذا التعقيد والأهمية كثرت تعريفات الثقافة، فمثلاً، ويسلر يعرِّفها بقوله: "**الثقافة كل الأنشطة الاجتماعية في أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والاتيكيت والفن**".

ويعرِّفها مرة أخرى فيقول: "**الثقافة هي أسلوب حياة تتبعه الجماعة أو القبيلة تتضمن مجموعة المعتقدات**".

أما روث بندكت فتعرِّف الثقافة بأنها: "**ذلك الكل المركَّب الذي يشمل العادات التي يكتبسها الإنسان كعضو في مجتمع**".

أما بواز فيعرِّفها بأنها: "**ذلك الكل المركَّب الذي يشمل العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات**".

أما بوقاردس فيعرِّفها بقوله: "**الثقافة هي المجموع الكلي لأساليب الفعل والتفكير لجماعة اجتماعية، وهي تمثل مجموع التقاليد والمعتقدات والإجراءات المتوارثة**".

أما لووي فَيُعَرِّف الثقافة بأنها: "**ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه، تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية وعادات الطعام والحرف التي لم يُعَرِّفها الفرد نتيجة نشاطه الابتكاري، بل عرفها كتراث الماضي ينتقل إليه بواسطة التعلُّم الرسمي وغير الرسمي**".

ويُعَرِّفها مالينو فسكي بقوله: "**الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكوَّن من الخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من: الأفكار الإنسانية، والمعتقدات، والأعراف، والحرف، والأدوات**".

ويُعَرِّفها هير سكوفيتس بقوله: "**الثقافة هي طريقة حياة الناس**" في مجتمع معيَّن.

أما بانزيو فيُعَرِّف الثقافة بأنها "**ذلك المجموع الكلي لذلك النسق الكلي من: المفاهيم، والاستعمالات، والتنظيمات، والمهارات، والأدوات، التي تتعامل بها البشرية مع البيئة لإشباع حاجاتها**".

obeikandi.com

أما بدني فيُعَرِّفها بقوله: "**الثقافة تتكوَّن من السلوك ومن الأفكار التي يكتسبها الأفراد من خلال المجتمع**".

أما راد كليف بروان فيرى أن الثقافة: "**هي عملية اكتساب التقاليد الثقافية وهي العملية التي تنتقل بها: اللغة، والمعتقدات، والأفكار، والذوق، والمعرفة، والمهارات، والاستخدامات، في مجموعة اجتماعية معينة أو طبقة اجتماعية من جيل إلى آخر**".

ويُعَرِّفها سابير بأنها: "**مجموع الممارسات والمعتقدات المتوارثة اجتماعياً التي تحدِّد جوهر حياتنا**".

ويُعَرِّف بارسونز الثقافة بقوله: "**إن الثقافة تتكوَّن من تلك النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل لجيل، بصرف النظر عن الجينات البيولوجية**".

فمفهوم الثقافة إذن هو مفهومٌ محوري يتضمن: الأفكار والتصورات الموروثة والعادات والقيم والمواقف السائدة في مجتمع معيَّن.

obeikandl.com

وحسب **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** فإن: "**تعريف الثقافة في علم الاجتماع بأنها البيئة التي خلقها الإنسان**" وضمن ذلك "**المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلي آخر، فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز، والذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم، وقوانين وعادات، وغير ذلك**".

وهذه المجموعة من التعريفات التي تركز على الثقافة كفاعل مؤثر في السلوك، ودورها الكبير في تحسين سلوك الإنسان وترقيته بشكل مقصود هي مدار بحثنا لثقافة السلام.

obeikandl.com